أسلوب القصر

تعريف القصر: جاء في لسان العرب: « القصر: الحَبس... ويقال: قصرت نفسي عن هذا أقْصُرها قصْرا... وأقصَرَ فلان عن الشيء يُقْصِر إقْصَارا إذا كفّ عنه وانتهى. والإقصار: الكفّ عن الشيء... يقال: قصرتُ نفسي على الشيء إذا حبستها عليه وألزمتها إياه. قال الله تعالى:﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ (الرحمن:72)، أي قُصِرْن على أزواجهن، أي حُبسن فلا يُردن غيرهم، ولا يطمحن إلى من سواهم»[1].

والقصر في اصطلاح علماء المعاني: تخصيص شيء بشيء، أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوصة [2]. أو هو: إثبات الحكم لما يذكر في الكلام ونفيه عما عداه [3].

أركان القصر: يتكون أسلوب القصر من طرفين هما: المقصور والمقصور عليه، ومن أداة القصر. تقول مثلا: ما المتنبي إلا شاعر، تريد بهذا التعبير تخصيص المتنبي بـ "الشعر" وقصره على هذه الملكة، تقول هذا ردا على من ظن أنه شاعر وكاتب مثلا. فالمقصور "المتنبي" ، والمقصور عليه " شاعر"، وطريق القصر"ما+ إلا".

طرق القصر: للقصر طرق كثيرة ، وأشهرها في الاستعمال أربعة وهي:

1-النفي والاستثناء، مثل : لا هادي إلا اللهُ، وما محمد إلا رسول. وتلاحظ هنا أن القصر سواء أكان صفة على موصوف ، أم قصر موصوف على صفة، فإن المتقدم وهو المقصور، وما بعد إلا (حرف الاستثناء) هو المقصور عليه دائما، وليس بلازم أن تكون أداة الاستثناء هي "إلا" بل قد تحل محلها " غير" أو "سوى" وما في معناهما [4]. ومن أمثلة ذلك قول ابن الرومي:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصر)، 5/97-99.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 142.

[3] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصّميلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، 2002، ص 165.

[4] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 112.

لعمرُكَ: ما الحياةُ لكلّ حيّ إذا فقد الشّبابَ سوى عذابِ[1]

2-إنما، ومن أمثلة ذلك: إنما شوقي شاعر، إنما الدنيا غرور. فالمقصور عليه معها يكون مؤخّرا وجوبا.

3- القصر أو العطف بلا، وبل، ولكن،[2] نحو: الفخر بالعلم لا بالمال، وما الفخر بالمال بل بالعلم، وما الفخر بالنسب لكن بالتقوى.

فالمقصور عليه مع "لا" العاطفة هو الواقع قبلها والمقابل لما بعدها. والمقصور عليه مع "بل" أو "لكن" العاطفتين هو الواقع ما بعدهما.

4-تقديم ما حقه التأخير، نحو: على الله توكلنا. وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم[3].

أقسام القصر: يقسم البلاغيون القصر إلى ثلاثة أقسام:

- قصر حقيقي وإضافي.
- قصر باعتبار الطرفين.
- قصر باعتبار حال المخاطب.

1-في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع (أو تبعا لغرض المتكلم): ينقسم القصر تبعا لغرض المتكلم إلى قسمين:

أ- قصر حقيقي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلا، نحو لا إله إلا الله. فالألوهية صفة لا تتعدى ولا تتجاوز موصوفها وهو الله عز وجل إلى موصوف آخر مطلقا.

ب- قصر إضافي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء أخر معين ، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا

---

[1] ابن الرومي، الديوان، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002، 167/1.

[2] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 113.

[3] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، 168، 169.

مسافر، فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره كمحمود مثلا وليس قصدك انه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه.

2-في تقسيم القصر باعتبار طرفيه: ينقسم القصر باعتبار "طرفيه المقصور والمقصور عليه" سواء أكان القصر حقيقيا أم إضافيا إلى نوعين:

أ- قصر موصوف على صفة.

ب- قصر صفة على موصوف [1].

فقصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا هو ما لا يتعدى فيه الموصوف تلك الصفة إلى أي صفة أخرى. نحو : ما الله إلا خالق كل شيء. وهذا النوع من القصر لا يكاد يوجد، وذلك لأن أي موصوف له من الصفات ما يتعذر الإحاطة بها، ولهذا من المحال إثبات صفة واحدة للموصوف وقصره عليها ونفي ما عداها من صفاته الأخرى نفيا شاملا. (هذا يعني أن القصر الحقيقي يكثر في قصر الصفة على الموصوف ولا يكاد يوجد في قصر الموصوف على الصفة).

وقصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا: هو ما لا تتجاوز فيه الصفة ذلك الموصوف إلى أي شيء أخر، مثل: لم يبن الأهرام إلا المصريون، فالقصر هنا قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، قصرا يراد به أن صفة بناء الأهرام مقصورة على المصريين لم تتجاوزهم إلى سواهم من الناس.

وقصر الموصوف على الصفة قصرا إضافيا: هو ما لا يتعدى فيه الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى معينة، وان كانت الصفة تتجاوزه إلى غيره. مثل: ما المتنبي إلا شاعر، فقد قصر المتنبي على صفة الشاعرية لا يتجاوزها إلى غيرها من الصفات كالخطابة والكتابة، وان كانت صفة "الشاعرية" تتجاوز المتنبي إلى غيره من الناس.

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 148، 149.